

التحصيل الدراسي ... دراسة في العوامل والنظريات

Academic achievement...a study of factors and theories

محمد حبيب*، جامعة عمار ثليجي - الأغواط: med.habib@lagh-univ.dz

مخير الإنتماء: مخبر التمكين الاجتماعي والتنمية المستدامة في البيئة الصحراوية

سعاد قاسم، المركز الجامعي بأفلو: Souad.gacem@yahoo.com

تاريخ النشر: 31/12/2024

تاريخ القبول: 27/20241/à

تاريخ الاستلام: 02/09/2024

ملخص:

يُعتبر التحصيل الدراسي مؤشراً اجتماعياً بالغ الأهمية يعكس التفاعلات المعقدة بين الفرد والمؤسسة التعليمية والمجتمع الأوسع. إن التركيز المفرط على التحصيل كهدف وحيد في العملية التعليمية يغفل جوانب أساسية من التطور الشامل للفرد. فمن خلال عدسة علم الاجتماع، يمكننا رصد العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تساهم في تفاوت التحصيل بين الطلاب، وكيف أن هذه العوامل تؤثر على الهوية الاجتماعية للفرد وتوقعاته المستقبلية. إن انخفاض مستوى التحصيل الدراسي ليس مجرد مشكلة فردية، بل هو انعكاس لخلل في النظام التعليمي وفشل في تلبية احتياجات الطلاب المتنوعة. لذلك، يجب علينا أن ننظر إلى التحصيل الدراسي كظاهرة اجتماعية تتطلب حلولاً شاملة تتجاوز نطاق المدرسة.

الكلمات المفتاحية: التحصيل الدراسي، العوامل الأسرية، العوامل الاجتماعية، المدرسة.

Abstract:

School achievement is a highly significant social indicator that reflects the complex interactions between the individual, the educational institution, and the broader society. An excessive focus on achievement as the sole goal of the educational process overlooks essential aspects of the holistic development of the individual. Through the lens of sociology, we can observe the social, economic, and cultural factors that contribute to disparities in achievement among students, and how these factors affect the individual's social identity and future expectations. Low levels of academic achievement are not merely an individual problem but a reflection of a deficiency in the educational system and a failure to meet the diverse needs of students. Therefore, we must view academic achievement as a social phenomenon that requires comprehensive solutions extending beyond the scope of the school.

Keywords: Educational achievement; family factors; social factors; school.

1. مقدمة:

لطالما كان التحصيل الدراسي محور اهتمام التربويين والباحثين على مر العصور. حتى مع تطور نظريات التربية، ظل التحصيل يمثل هدفًا رئيسيًا للعملية التعليمية.

ويرى علماء الاجتماع أن التحصيل الدراسي ليس مجرد نتيجة للجهود الفردية للطلاب، بل يتأثر بعوامل اجتماعية وثقافية واقتصادية عديدة. فالمدرسة ليست معزولة عن المجتمع، بل هي جزء منه، وتتأثر بخصائصه وتساهم في تشكيله. ولهذا سنتطرق إلى ما يلي:

- مفهوم التحصيل الدراسي

- التحصيل الدراسي في ضوء أهم نظريات علم إجتماع التربية

- العوامل المؤثرة في التحصيل الدراسي

2. مفهوم التحصيل وتعريفه

التحصيل لغة :

التحصيل كلمة عربية لها جذور لغوية عميقة ومعانٍ متعددة حيث جاء في لسان العرب (ابن منظور، ص 99)

الجذر: ح-ص-ل

المعنى الأساسي: الوصول إلى شيء ما، أو اكتسابه، أو جمعه.

التحصَّلَ: يعني وصل إلى الشيء، وقبضه، وأخذه.

المتحصَّل: هو الشيء الذي تم الحصول عليه، أو النتيجة التي تم التوصل إليها.

التحصيل اصطلاحاً :

يشكل مفهوم التحصيل الدراسي حجر زاوية في البحوث التربوية والنفسية، إذ يمثل مؤشراً على مدى نجاح العملية التعليمية

في تحقيق أهدافها. ومع ذلك، فإن تحديد مفهوم التحصيل وتقييمه يظل أمراً معقداً ومتعدد الأبعاد.

يشير التحصيل الدراسي، في أبسط تعريف له، إلى مجموع المعارف والمهارات والسلوكيات التي يكتسبها المتعلم نتيجة

لعمليات التعلم والتدريب. إلا أن هذا التعريف العام لا يكفي لتوضيح طبيعة التحصيل وتعدد جوانبه. فالتحصيل ليس مجرد مجموع

من الحقائق والمعلومات، بل هو عملية ديناميكية تتضمن بناء المعاني، وتطوير التفكير النقدي والإبداعي، واكتساب المهارات الحياتية.

(ميكائيل، ص 12).

أما في سياق التربية والتعليم، يشير مصطلح التحصيل الدراسي إلى مستوى الأداء الذي يحققه الطالب في مختلف المجالات

الدراسية. وهو يعكس قدرة الطالب على اكتساب المعرفة والمهارات والتطبيق.

3. التحصيل الدراسي في ضوء نظريات علم اجتماع التربية

في إطار علم اجتماع التربية، تتعدد النظريات التي تتناول موضوع التحصيل الدراسي، حيث يعكس هذا التعدد الاختلافات الفكرية في تصور دور المدرسة ووظائفها من منظور نظري لآخر.

1.3 نظرية المدرسة الوظيفية لعملية التحصيل الدراسي:

تُعد المدرسة، وفقاً لهذه النظرية، مؤسسة اجتماعية محورية تساهم في بناء المجتمع، وتحقيق العدالة الاجتماعية، والحد من الفجوات الاجتماعية، كما أن التعاون بين مكونات البيئة المدرسية يلعب دوراً أساسياً في تعزيز العلاقات بين الطلاب، مما يساهم في زيادة دافعيتهم للتعليم عبر توفير البيئة الملائمة. ويشير تالكوت بارسونز، أحد أبرز رواد هذه النظرية، إلى أن المدرسة تضطلع بدور جوهري في اكتشاف قدرات الطلاب وتوجيههم بشكل صحيح، بالإضافة إلى تعزيز الدوافع الأكاديمية والمهنية لديهم. كما ترى النظرية الوظيفية أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين أداء الطالب في المدرسة وأدائه المستقبلي، سواء كان ذلك على المستوى الوظيفي أو الاقتصادي (شبل بدران، ص 20).

من هذا المنطلق، تُبرز النظرية الوظيفية للمدرسة أهمية العملية التعليمية كآلية مركزية لإعداد الأفراد للمستقبل، مع تأكيداً على تكامل الأدوار بين الفاعلين الاجتماعيين لتحقيق الأهداف المشتركة للمجتمع.

2.3 نظرية بيير بورديو لعملية التحصيل الدراسي:

في سياق علم اجتماع التربية، قدم بيير بورديو نظريته حول "رأس المال الثقافي"، والتي تؤكد أن المدرسة تلعب دوراً في تعزيز وتكرار الفجوات الاجتماعية في المجتمعات الحديثة. حيث يرى بورديو أن الطبقة البرجوازية تفرض معايير وسمات الثقافة المدرسية بما يضمن استمرار هيمنتها الاجتماعية والثقافية. وفقاً لنظريته، تحتوي المدرسة على رموز وشفرات لا يمكن فهمها إلا من قبل الطلاب الذين ينتمون إلى الطبقة الاجتماعية المهيمنة، مما يؤدي إلى تحقيقهم نجاحاً دراسياً بارزاً.

ويشير بورديو، وفقاً لتحليل بوركييرافلين، إلى أن أطفال الطبقات البرجوازية يأتون إلى المدرسة مجهزين بالمعايير والقيم التي تتوافق مع الثقافة المدرسية، في حين يفتقر أبناء الطبقات الأقل حظاً إلى هذه الأدوات بسبب خلفيتهم الثقافية. وبالتالي، يستطيع أبناء الطبقات المهيمنة بفضل موقعهم الاجتماعي وثقافتهم أن يحققوا نجاحاً تعليمياً كبيراً، مما يعزز انتقال المهن القيادية عبر الأجيال، ويجعل من التعليم رأس مال رمزي يُستخدم للحفاظ على سيطرة الطبقات المهيمنة (الشهاب، ص 165).

في النهاية، يرى بورديو أن تحسين مستوى التحصيل الدراسي يتطلب جعل التعليم أكثر ديمقراطية، وأكثر تحقيقاً للعدالة الاجتماعية والمساواة في فرص التعلم والتوظيف، مما يساهم في تقليص الفجوات الاجتماعية التي تعززها النظم التعليمية التقليدية.

التحليلي. هذا الاتجاه يركز على الفرد باعتباره العامل الأساسي الذي يؤثر في مستوى التحصيل، مؤكداً أن الفروق الفردية في القدرات العقلية قد تؤدي إلى اختلاف مستويات التحصيل الدراسي بين الطلاب.

في المقابل، يتبنى الاتجاه التربوي مقارنة أكثر شمولية، حيث يربط ضعف التحصيل الدراسي بالعوامل الخارجية التي تؤثر على التلميذ. يشمل ذلك مجموعة واسعة من العوامل البيئية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، مثل الظروف الأسرية والاجتماعية، وجودة البيئة المدرسية، والعلاقات مع المعلمين والأقران، وأساليب التعليم والتقييم المتبعة. يؤكد هذا الاتجاه أن البيئة التعليمية والاجتماعية للتلميذ تلعب دوراً حيوياً في تحديد مستوى تحصيله الدراسي، وأن التفاعل بين التلميذ ومحيطه الخارجي يمكن أن يؤثر بشكل كبير على أدائه الأكاديمي.

وبناءً على هاتين المقاربتين، يمكن تقسيم العوامل المؤثرة على التحصيل الدراسي إلى الفئات التالية:

1.4 العوامل الشخصية وذاتية متعلقة بالطالب:

تشمل العوامل الشخصية والذاتية المتعلقة بالطالب مجموعة من الجوانب التي تؤثر مباشرة على قدرته على التحصيل الدراسي. هذه العوامل تتضمن الجوانب الجسدية، العقلية، والنفسية، وكل منها يلعب دوراً حاسماً في تحديد مستوى الأداء الأكاديمي للتلميذ.

أ) العوامل الجسدية:

تعد العوامل الجسدية من أبرز المؤثرات على التحصيل الدراسي للطفل. تشمل هذه العوامل ضعف الصحة العامة، سوء التغذية، والعاهات الخلقية، والتي قد تحد من قدرة الطالب على المشاركة الفعالة في الأنشطة التعليمية. ومن بين هذه العوامل الأكثر شيوعاً في المدارس هي ضعف حاسي السمع والبصر وعيوب النطق، وهي حواس أساسية للتعلم في مجتمع يعتمد على القراءة والاستماع كوسائل أساسية في التعليم.

على سبيل المثال، الأطفال الذين يعانون من ضعف البصر يواجهون صعوبات خاصة في المواد التي تعتمد على القراءة، حيث يجدون صعوبة في استيعاب الأشكال البصرية والخطوط المكتوبة على السبورة، وتصبح عملية القراءة من الكتب بالنسبة لهم مجهدة وتتطلب وقتاً وجهداً أكبر مقارنة بزملائهم. وعلى الرغم من أن استخدام النظارات يمكن أن يساعد في التغلب على هذا الضعف، إلا أن ارتداؤها غالباً ما يرافق بتحذيرات من الوالدين لتقييد النشاط الطبيعي للطفل، مما قد يؤدي إلى شعوره بالاختلاف عن الآخرين.

وبالمثل، الأطفال الذين يعانون من ضعف السمع يواجهون صعوبة في الانخراط في الفصول الدراسية، مما يؤدي إلى تأخرهم وضعف تحصيلهم في المواد التي تعتمد بشكل كبير على حاسة السمع، مثل دروس المحادثة واللغة. أما الأطفال الذين يعانون من عيوب النطق، فقد تواجههم تحديات كبيرة، حيث قد تؤدي هذه العيوب في الحالات الشديدة إلى عجز كامل عن التحصيل الدراسي، مما يؤثر سلباً على التكيف الشخصي والاجتماعي للطفل.

(ب) العوامل العقلية:

233

يكون الطالب غير مستعد لدراسة مادة معينة ويواجه ضغوطاً من الوالدين لدراسة مواد أخرى، مما يعيق طموحه الشخصي ويحول دون تحقيق أهدافه الأكاديمية.

- **عدم النمو الاجتماعي السليم:** يتعلق بالأطفال الذين لا يتمكنون من النمو الاجتماعي بشكل سليم نتيجة للظروف التي يعيشون فيها. هؤلاء الأطفال يجدون صعوبة في التكيف مع البيئة الاجتماعية والمدرسية، كما هو الحال بالنسبة للأطفال الذين يعانون من الحرمان العاطفي الناجم عن العوامل الأسرية التي تؤثر على تحصيلهم الدراسي. على سبيل المثال، يمكن أن تؤدي ظاهرة التسرب المدرسي إلى تأثير سلبي على التحصيل الدراسي بسبب وجود عوامل جذب خارج المدرسة.

من خلال تحليل هذه العوامل، يتضح أن التفاعل المعقد بين الجوانب الجسدية، العقلية، والنفسية للطلاب يلعب دوراً محورياً في تحديد مستوى تحصيله الدراسي، مما يبرز الحاجة إلى اتباع نهج شامل لمعالجة التحديات التي قد تواجه الطلاب في مختلف مراحل التعليم.

2.4 العوامل البيئية في التحصيل الدراسي:

تشير العوامل البيئية إلى مجموعة من المؤشرات الأسرية والمدرسية المحيطة بالتلميذ، والتي تؤثر بشكل كبير على تحصيله الدراسي. هذه العوامل تندرج ضمن الإطار الذي يتبناه أصحاب الاتجاه التربوي، وتشمل عدة جوانب رئيسية:

أ) العوامل الأسرية

تلعب العوامل الأسرية دوراً جوهرياً في تحديد مستوى التحصيل الدراسي للتلميذ. إذ يتفق الباحثون الاجتماعيون والتربويون النفسيون على وجود مجموعة من الظروف السلبية التي تعيش فيها الأسرة، والتي تؤدي إلى نتائج سلبية على النجاح التعليمي والمهني للأبناء. ومن بين هذه العوامل الأسرية ما يلي:

1- المستوى الاقتصادي للأسرة

يُعد المستوى الاقتصادي للأسرة من أبرز العوامل المؤثرة على نتائج الأداء التعليمي لأفراد الأسرة، وخاصة الأطفال. حيث يساهم التدني الاقتصادي في خلق صعوبات تربوية متعددة، ويعيق القدرة على تلبية احتياجات التعلم الأساسية مثل التغذية الجيدة والرعاية الصحية، مما يؤدي إلى ظهور بعض الأمراض الجسدية والنفسية والأخلاقية. إضافة إلى ذلك، يؤثر التدني الاقتصادي على إمكانية تلبية احتياجات النشاط المدرسي. يمكن قياس مستوى الاقتصاد الأسري من خلال مؤشرات الدخل، مثل عمل الوالدين والمستوى المعيشي للأسرة. فمثلاً، يعمل الأب بجد لتلبية احتياجات الأسرة، وقد تضطر الأم للعمل خارج المنزل لتعزيز الدخل، ما يؤثر بدوره على طبيعة الحياة المنزلية وإدارة شؤون المنزل وتربية الأطفال (الخشاب، ص 46).

2- المستوى الثقافي للأسرة

تعتبر الأسرة المرجع الأساسي للطفل في اكتساب المعرفة والخبرات الجديدة. يتأثر طموح الطفل ورغباته بالبيئة المحيطة به. فإذا كانت الأسرة تولي اهتماماً كبيراً للتعليم والثقافة، فإن ذلك ينعكس إيجابياً على تحصيل الطفل الدراسي ويشجعه على حب التعلم.

3- العلاقات الأسرية (الجو الأسري)

ب) العوامل المدرسية

1-البرامج المدرسية

- **تحديد الأولويات التربوية:** يجب تحديد الأسس التي تقوم عليها المنظومة التربوية والقيم المراد غرسها في التلاميذ.

• **فهم الوسط الاجتماعي:** ضرورة المعرفة الشاملة بالبيئة الاجتماعية للتلميذ وتحليلها لتوجيه التعليم بما يتناسب مع احتياجات المجتمع.

• **التعامل مع التحديات:** يجب وضع تصور للمشاكل التي قد تعيق عملية التكوين، مثل المشاكل المادية، والبشرية، والتشريعية، لتسهيل التخطيط وتجنب العقبات المحتملة.

تمتد المناهج عبر جميع المراحل التعليمية، ويتطلب الأمر ربط الأهداف بين هذه المراحل بطريقة ديناميكية ومرنة، لضمان تكامل العملية التعليمية وتحقيق التحصيل المستدام. وقد اعتمدت البلدان المتقدمة على هذا النهج لضمان استمرارية التعليم وتفادي الفجوات بين مراحل التعليم المختلفة.

2-الأستاذ

يلعب المعلم وطريقة التدريس دوراً كبيراً في تحديد مستوى التحصيل الدراسي للتلميذ. فالأخطاء في طرق التدريس ووجود الفوضى أو التسلط داخل الفصل الدراسي يمكن أن تشكل حاجزاً بين التلميذ والمعلم، مما يؤثر سلباً على اهتمام التلميذ بدراسته. وتعتبر شخصية المعلم وطريقة تدريسه من العوامل الأساسية التي تؤثر على القدرات الذهنية للتلميذ ونشاطه داخل المدرسة، حيث يرتبط التحصيل الدراسي بقدرة المعلم على إيصال المعلومات وإشراك التلاميذ في العملية التعليمية (طه عبد القادر، ص 104).

لم يعد دور المعلم يقتصر على نقل المعرفة، بل يمتد ليشمل التربية وتنمية القيم والمهارات. إن المعلم ذو الشخصية القوية والقدرة على تحفيز التلاميذ يساهم في زيادة تحاجهم واستعدادهم للدراسة. من ناحية أخرى، يمكن أن يؤدي استخدام المعلم لأساليب صارمة أو غير موضوعية في التعامل مع أخطاء الطلاب إلى خلق جو من الخوف والقلق، مما يؤثر سلباً على تحصيلهم. أثبتت الدراسات الميدانية أن استخدام أساليب التدريس القائمة على الشرح والإفهام والمشاركة الفعالة في المناقشة والحوار يساعد التلاميذ على فهم المادة الدراسية وتحقيق نتائج أفضل في حياتهم العملية. وعليه، ينبغي على المعلم أن يراعي الفروق الفردية بين التلاميذ ويستخدم طرق تدريس متنوعة تناسب احتياجاتهم وقدراتهم، مع الحرص على تطبيق مبدأ "التعليم بالعمل" الذي يعزز من فعالية التعلم، ولتعزيز مستوى التحصيل الدراسي للتلاميذ، يجب على المعلم أن:

- **يتمتع بمستوى ثقافي عالٍ:** حيث تزداد قدرته على توصيل المعلومات بوضوح وسهولة.
- **يكون مواظباً على الحضور:** مما يعزز من انتظام التلاميذ في الحضور والتفاعل مع الدروس.
- **يعزز النشاط التلقائي للتلاميذ:** من خلال تشجيعهم على التعلم الذاتي وتقديم الإرشادات اللازمة دون توجيه مباشر.

3-التلميذ

يؤثر التلميذ ذاته في تحصيله الدراسي بطرق متعددة. فعلى سبيل المثال، فإن التلميذ الذي يكون حضوره مضطرباً وغير منتظم سيواجه صعوبات في استيعاب الدروس، مما يؤدي إلى ضعف تحصيله الدراسي. كما أن تنقل التلميذ من مدرسة لأخرى بسبب ظروف أسرية، يسبب تغييراً في البيئة الدراسية بما في ذلك الأساتذة والزملاء، مما يعوق قدرته على متابعة دروسه بشكل فعال.

بالإضافة إلى ذلك، فإن اهتمام التلميذ بأداء واجباته المدرسية بشكل منتظم ومستمر يعد من عوامل التحصيل الجيد. فالوصول إلى مستوى عالٍ من التحصيل يتطلب الجهد والمثابرة، بينما يؤدي الإهمال وعدم الالتزام إلى ضعف الأداء الأكاديمي. تشير الدراسات إلى أن ازدحام اليوم المدرسي بالدروس النظرية وانعدام الأنشطة المدرسية العملية يؤدي إلى ملل التلاميذ ويحد من فرصهم لاكتشاف مواهبهم والتعبير عن ذواتهم. لذا، يجب النظر إلى التلميذ باعتباره كياناً إنسانياً له احتياجاته ومشكلاته، وليس مجرد أداة لاستقبال المعلومات. يجب أن يُؤخذ بعين الاعتبار رغبات التلميذ وقدرته على التفكير والتغيير، مما يعزز من فرصه لتحقيق تحصيل دراسي مقبول بصرف النظر عن العوامل الأخرى التي قد تؤثر عليه. ومما سبق يتضح أن العوامل المدرسية، بما فيها البرامج التعليمية، وطريقة التدريس، ودور المعلم، ومشاركة التلميذ، تلعب دوراً حاسماً في تحديد مستوى التحصيل الدراسي. لتحقيق مستويات تحصيل جيدة، يجب تكامل هذه العوامل والعمل على تحسين البيئة التعليمية بشكل مستمر لضمان بيئة تعليمية داعمة ومحفزة للتلاميذ.

الخاتمة

يمكن القول إن التحصيل الدراسي يمثل محصلة المعارف والمهارات التي يكتسبها الطالب خلال مسيرته التعليمية، ويُستخدم هذا المفهوم في المجال التربوي لتقييم مدى تحقق الأهداف التعليمية المنشودة من خلال أداء الطالب في الامتحانات والأنشطة المدرسية. يعتمد التحصيل الدراسي بشكل كبير على مجموعة متنوعة من العوامل، بما في ذلك العوامل الشخصية، مثل القدرات العقلية والنفسية والجسمية، والعوامل البيئية، التي تشمل الظروف الأسرية والمستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، بالإضافة إلى العوامل المدرسية، مثل المناهج التعليمية وطريقة التدريس وعلاقة الطالب بالمعلمين.

لتعزيز التحصيل الدراسي، من المهم أن يتضافر الجهد بين جميع الأطراف المعنية، بدءاً من الأسرة التي توفر الدعم النفسي والاجتماعي، وصولاً إلى المدرسة التي تقدم بيئة تعليمية محفزة تراعي الفروق الفردية وتوفر أدوات التعلم الملائمة. كما يجب أن يُعمل على تشجيع الطالب على التفاعل الإيجابي مع المحتوى الدراسي، وتطوير قدراته على التفكير النقدي والإبداعي، مما يعزز من فرصه في تحقيق نتائج تعليمية أفضل.

إن تحسين التحصيل الدراسي ليس مسؤولية الطالب وحده، بل هو نتاج تعاون بين الأسرة والمدرسة والمجتمع، ويعتمد على إيجاد بيئة تعليمية وشخصية تدعم التطور المتوازن والشامل للطالب، مما يساهم في بناء مجتمع قادر على مواجهة تحديات المستقبل بكفاءة وفعالية.

6. قائمة المراجع:

- صالح عبد العزيز. التربية وطرق التدريس.
- طه فرج عبد القادر. (1982). علم النفس وقضايا عصرنا. القاهرة: دار المعارف.
- لحسن عبد الله. (1998). العملية التكوينية في الجامعة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- محمد خليفة. (1979). علم النفس التربوي. الكويت.
- محمد مصطفى زيدان. (1988). دراسة سيكولوجية تربوية لتلميذ التعليم العالي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- محمد مصطفى زيدان. (1983). دراسة سيكولوجية تربوية لتلميذ التعليم العام. الرياض: دار الشروق.
- محمود عبد الحليم منسي. علم النفس التربوي للمتعلمين.
- مصطفى الخشاب. دراسات في علم الاجتماع العائلي.
- ناجح مخلوف. المعلم في قاعة التدريس. مكتبة أحد ربيع.
- نعيم الرفاعي. (1972). الصحة النفسية، دراسة السيكلوجية التخلف. دمشق: المطبعة الجديدة.
- أبو حامد الغزالي إحياء علوم الدين تحقيق: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- ابن خلدون، المقدمة. تحقيق: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، 1988.